النذور دراسة انثروبولوجيا في العتبة الكاظمية المقدسة

محمد حسين عبد

Mahammad54@gmail.com

أ.د علي زيدان خلف

الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب

الملخص

أدرك علماء الدين في جميع أنحاء العالم منذ فترة طويلة ما أطلق عليه الفيلسوف الأمريكي وعلم النفس ويليام جيمس "أنواع الخبرة الدينية"، منذ منتصف القرن التاسع عشر، كانت إحدى أهم مساهمات علماء الأنثروبولوجيا وأهمها هي توسيع نطاقها، دراسة تلك الأصناف خارج العقائد والصلوات الرسمية للمؤسسات الدينية القائمة لتشمل العادات ذات الصلة، بغض النظر عن الزمان والمكان وأين تمارس هذه الممارسات وما إذا كان يتم الاحتفال بها أو قمعها أو اعتبارها أمراً مفروغاً منه أنثروبولوجيا الدين هي دراسة، على حد تعبير عالم الأنثروبولوجيا الإنجليزية إدوارد إيفانز بريتشارد نظريات الدين البدائي، "كيف تؤثر المعتقدات والممارسات الدينية في أي مجتمع على عقول ومشاعر وحياة وعلاقات أعضائها، كما عمد عمل عدداً من علماء الانثروبولوجيا على دراسة وبيان تلك الممارسات الدينية المحلية (التي توصف بالشعبية في كثير من الاحيان) بوصفها المميزة والخاصة لثقافة ما دون غيرها من الثقافات او انها صفة لمجموعة من الناس دون غيرهم من البشريات او الشعوب، كأن تكون عند النوير في افريقيا، او هنود الانويت في الدائرة القطبية الشمالية، او الهندوس في اسيا.

Abstract

Religious scholars around the world have long recognized what the American philosopher and psychologist William James called “types of religious experience.” Since the mid-nineteenth century, one of the most significant and important contributions of anthropologists has been to broaden their scope, examining those categories outside the formal creeds and prayers of the institutions Existing religious to include relevant customs, regardless of when, where, and where these practices are practiced and whether they are celebrated, suppressed, or taken for granted, How do religious beliefs and practices in any society affect the minds, feelings, lives, and relationships of its members? A number of

anthropologists have also deliberately worked on studying and explaining those local religious practices (which are often described as popular) as distinctive and. For a group of people without other human beings or peoples, such as the Nuer in Africa, the Inuit Indians in the Arctic Circle, or the Hindus in Asia.

المقدمة

شهدت الأنثروبولوجيا مراحل تطور في القرن العشرين، لتصبح كياناً أكاديمياً ومهنة متخصّصة عند كثير من العلماء والفلاسفة والباحثين، فعلى الرغم من أنّ الفكر الأنثروبولوجي قد بقي خلال العقدين الأوليين من القرن العشرين، متأثّراً إلى حدّ بعيد، بالنظريات التي سادت وتبلورت في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر، فإنّه سرعان ما تغيّر وتحوّل إلى منطلقات جديدة، نتج عنها اتّجاهات متعدّدة إزاء دراسة الإنسان وثقافته، سواء ما كان منها نظرياً أو منهجياً، كما ان الاتجاه العلمي نشط في القرن التاسع عشر وتبلور في مجالات متعدّدة، والانثروبولوجيا كحقل متخصص يعد تطوراً حديثاً في تاريخ الفكر الإنساني، لاهتماماته المتداخلة والمتعددة والزوايا المختلفة التي يتعامل بها مع قضايا الإنسان إذ يخوض ويتعمق بكل ما يتعلق بسلوكيات الانسان وصداها في بناء حياة ذلك الانسان وكيفية التناغم والتعامل مع اطر الحياة المختلفة، وان الانثروبولوجيا لم تقتصر على دراسة الوحدات البنائية الصغيرة بما فيها من بناءات تعود الى حياة الانسان، وانما اتسعت مدياتها لتشمل مضامين اخرى في حياة الانسان تتلاءم وتتواكب مع كل ما هو حديث ومتطور، اذ اخذت تتعمق في دقائق واجزاء لم يتم التنبه عليها سابقاً فيما يتعلق بشكل الحياة بالإنسان مادياً وثقافياً وكيفية بلورة صور تعامل الانسان مع الطبيعة وسلوكيات الافراد الاخرى، وبرزت الانثروبولوجيا بصورٍ اخرى وفروع اخذت تغور في ثنايا حياة الانسان وتوضح واقع معيشة الافراد في مجتمعاتهم وكيفية التناغم معها، ولا سيّما دراسة البناء الاجتماعي لمنطقة التي تُعد شكل من اشكال التعايش التي تظهر على مستوى القرابة والاسرة والاصدقاء.

المبحث الأول: عناصر الدراسة

اولاً موضوع الدراسة

"يتخذ علماء الأنثروبولوجيا مقاربة شاملة لدراسة الإنسان، إذ يفترضون أنه لا يوجد فهم كامل من غير دراسة النطاق الكامل للسلوك البشري، وقد يركز علماء الأنثروبولوجيا دراساتهم على مجتمع معين أو جانب معين من الكائن البشري، لكنهم يضعون نتائجهم في منظور نظري واسع يسعى إلى تضمين كل التجارب البشرية، وينعكس هذا النهج الكلي في الاهتمام بالتنوع الواسع وفي نهج شامل لدراسة السلوك الإنساني".

يجب على الباحث الأكاديمي في البحوث الاجتماعية والإنسانية، من وضع منهجية علمية مناسبة تتوافق وموضوعات البحث المُعْنى بدراسته، ويُرسَم اقتران المنهج بالموضوع بخطوات غايتها تحقيق أهداف البحث واكتشاف مجموعة الحقائق ذات الصلة بموضوع الدراسة.

يتجه هذا الفصل نحو التعريف بموضوع الدراسة وبيان التساؤلات التي تكون بمثابة الأهداف التي ترمي الدراسة إلى تحقيقها وبيان أهمية الموضوع ومجالاته الثلاثة (الزماني والمكاني والبشري) بمبحث اول، ومن ثم التوجه في المبحث الثاني نحو التعريف بالمفهومات الأساسية للموضوع.

لأجل ذلك كلّه فقد ارتأت الدراسة ضرورة بسط موضوع (الكليدار دراسة انثروبولوجيا في العتبة الكاظمية المقدسة) متقصّين في ذلك مجمل الحيثيّات الإبستيمولوجيّة، ففهم الموضوع في سياقه الأنثروبولوجي يعتبر، من وجهة نظر الباحث، أمراً ضروريّاً ومدخلاً رئيساً، يرتكز موضوع الدراسة إلى مجموعة تساؤلات يمكن عدها أهدافاً غايتها تقديم إجابة أولية استهلالية أكاديمية هي:

ثانياً: أهمية الدراسة :

تسعى الدراسة إلى تسليط الضوء على موضوع لم يسبق ان تمت دراسته في الانثروبولوجيا، أن تم بحثه ومعالجته أنثروبولوجيا، ولذا نبعت أهميته كونه محاولة علمية لرفد المكتبة الأنثروبولوجية والاجتماعية, ببحث من هذا النوع، مؤكدا انه قابل لتطويره في دراسات قادمة.

الدراسة تأتي لتقدم مادة وصفية اثنوغرافية لجماعة السدنة المتواجدين في العتبة الكاظمية اذ مازالت تلك الجماعة ان تمثل بروزاً فريداً في الدراسات، كذلك البحث عن الخصائص المشتركة والميزات التي ينفرد فيها عن غيرهم من الجماعات والطائف التي تُمارس او يمارسها مجتمع الدراسة.

كما تظهر الأهمية الآخرى للدراسة بأنها تعمل على بيان العلاقات التي تربط السدنة مجال الموضوع مع الزائرين من عموم الناس الوافدين الى المقام الشريف كما تتجه الأهمية الآخرى هي قلة الخوض في سبر اغوار هكذا موضوعات في مجال الانثروبولوجيا والتي ستعمل على رفد المكتبة الأكاديمية بالمعلومات والحقائق العلمية عن مجتمع الدراسة.

ثالثاً: أهداف الدراسة :

معرفة تأثير النظم العقائدية من حيث التمثيل وكيفية تفاعل المكونات الثقافية فيما بينها من حيث تشربها أو امتصاصها للقيم والعادات والتقاليد التي فرضها على تلك المكونات نظامُها العقائدي.

التعرف على استمرار وجود بعض العناصر الثقافية المتصلة بموضوع هذه الدراسة على مر الزمان في المجتمع العراقي ومنها وجود بعض اوجه التشابه بين بعض هذه العناصر الثقافية،

فالشكوى الى ما يعتقد به مجتمع الدراسة وطلب قضاء الحاجات، فضلاً عن إرسال الرسائل الى الإمامين الجوادين (عليهم السلام) كانت كلها امور تُمارس من قبل مجتمع الدراسة على مر الزمان والاجيال وذلك بالإعتقاد بأن الإمامين يسمعون الكلام ويلبون احتياجات المحتاجين.

رابعاً: مجالات الدراسة

١- المجال المكاني

يتمثل المجال المكاني للدراسة في العتبة الكاظمية المقدسة، اذ إن حيثيات الدراسة جميعها تدور في هذا المكان والتي تُجرى فيها مقابلات وملاحظات وكل ما يخص عملية تدوين البيانات الميدانية، فكل دراسة انثربولوجية يكون فيها ميدان الدراسة او الحيز المكاني للدراسة على قدر كبير من الأهمية والاعتقاد به من قبل الناس لما للمكان من اهمية قدسية واضحة.

٢-المجال البشري

يمكن تحديد المجال البشري على أساس الفاعلين الذين شملتهم الدراسة، والذين يُعدون العنصر الاساسي في الدراسات الانثروبولوجية ولاسيما في هذا الموضوع، والذي من خلاله يشكلون صورة العلاقات والنشاطات التي تقوم بها الجماعة، فلا يمكن تصور بناء لمجتمع من غير وجود عناصر فاعلين، الذين تتم من خلالهم الممارسة سواء كانوا ذكوراً أم اناثاً.

خامساً: مفهومات الدراسة

الأول: النذر

النذر لغةً: النحب وهو ما ينذره الأنسان على نتسه نحباً واجباً، وجمعه نذور ولغة أهل الحجاز كذلك وأهل العراق يسمونه الأرش، وقال أبو سعيد الضرير إنما قيل له نذر لأنه نذر فيه أي أوجب كقولك نذري على نفسي أي أوجبت، والنذيرة الأبن يجعله أبوه قيماً أو خادماً للكنيسة أو المتعبد من ذكر أو أنثى وهو من باب ضرب وقتل وهو يتعدى إلى مفعولين أو أكثر، وأكثر ما يستعمل في التخويف.[١]

يُعرَّف النذر بأنه الوعد المقطوع لله، الوعد ملزم، ولذا فهو يختلف عن القرار البسيط الذي هو غرض حالي لفعل أو حذف أشياء معينة في المستقبل.

النذر في اللغة هو ما يتعهد بتنفيذه الإنسان فيجعله على نفسه واجباً وجمعه نذور وفي لغة أهل العراق والحجاز يسموه الارش*.[٢]

[١]. م.م سمير عبد حسن سالم الفهداوي، النذر في القرآن الكريم، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الاسلامية، العدد٣٥، لسنة ٢٠١٥، ص٦٠.

[٢]. ابن منظور ، لسان العرب ، المجلد السادس ، دار الجبل ، بيروت ، ١٩٨٨،ص٦١٢ .

*. الارش: بوزن العرش وهي ديَة الجراحات. أنظر أبو بكر الرازي، مختار الصحاح ، دار الرسالة، الكويت ١٩٨٣، ص ١٣ .

النذر أن يجعل الشخص لله على ذمّته فعل شيء أو تركه، ويعتبر في صيغة النذر اشتمالها على لفظ (لله) أو ما يشابهه من أسمائه المختصّة به، فلو قال الناذر مثلاً: (لله عليَّ أن آتي بنافلة الليل) أو قال: (للرحمن عليّ أن أتصدّق بمائة دينار) صحّ النذر، وله أن يؤدّي هذا المعنى بأيّة لغة أخرى غير العربيّة. ولو اقتصر على قوله: (عليَّ كذا) لم ينعقد النذر وإن نوى في نفسه معنى (لله)، ولو قال: (نذرت لله أن أصوم) أو (لله عليَّ نذر صوم) ففي انعقاده إشكال، فلا يترك مراعاة الاحتياط في ذلك.[١]

والنذر عبادة قديمة، واتى الإسلام واستمرت هذة العبادة، وقد ذكره القرآن الكريم في عدة مواضع، وهو أن توجب على نفسك ما ليس بواجب لحدوث أمر، النذر إذا عرفت الله عز وجل نذرت له حياتك، نذرت له شبابك، نذرت له عمرك، نذرت له قوتك، نذرت له ذكاءك، نذرت له لسانك، نذرت له يدك، نذرت له مالك، معنى النذر الواسع أنه شيء بين يديك تقدمه لمن تحب، معنى النذر الدقيق شيء تملكه، أنا أملك صحتي، أملك شبابي، أملك قوتي، أملك مالي، أملك علمي، أملك جاهي، هذا الشيء الذي أملكه بين يدي لشدة حبي لله عز وجل قدمته قربةً لله عز وجل، فالأصل أن نذر الحياة الدنيا شيء بين معرفة الله وبين الآخرة، تعرفه فتنذر له كل حياتك فتقبض الثمن بعضه في الدنيا وجله في الآخرة هذا هو المعنى العام[٢]

والنذور في الديانة المسيحية هو الوعد الذي يعقده الإنسان بينه وبين الله وذلك لأمر مطلوب منه بقصد واختيار وهذا الأمر يكون مفيد وممكن عمله، ويكون عمل عبادة لله.[٣]

ومن شروط النذر لديهم (الوعد الكافي، والحرية الكافية، والاخلاقية)، اما أشهر نذورهم (العفة، الفقر، والطاعة)، ونذر الاستقرار(stability) نذر يلزم الراهب بالإقامة طول العمر في دير واحد. [٤]

أما ما يخص النذور فإن المصطلحات في السومرية والأكدية غير واضحة ومع ذلك فيمكننا أن نفسر مصطلح (KARAB) بالصلاة[١*] (الدعاء) وتقديم الهدايا الخاصة بالنذور.[٢]

[١] . آية الله العظمى، السيد علي السيستاني، منهاج الصالحين، المعاملات، ج٢، دار المؤرخ العربي، بيروت،١٩٩٦،ص٢٢٩.

[٢] . د. محمد راتب النابلسي، موسوعة النابلسي، قسم موضوعات فقهية متفرقة، الدرس ٣٨، مفهوم النذر،١٩٨٩.

[٣] . صفحة البيت المسيحي على الرابط http://instagram.com/soraya.house?fbclid=IwAR2CkOX_nbA7J0txz5hwap6XuEWn1s9vz8oIfMhNXbwKqEUj_LfyRWIqMt8

[٤] . د. خالد توفيق ، قاموس المصطلحات الدينية عربي إنكليزي ، الطبعة الاولى ، هلا للنشر والتوزيع ، الجيزة، ٢٠٠٨ ، ص٢٣٨ .

يعرف النذر المصدر وفعله نذر الوعد بخير خاصة وهو في اصطلاح الفقهاء التزام مسلم مكلف قربة وقيل ما يوجب المسلم على نفسه من صدقة أو عبادة أو نحوهما. (٣)

النذور في معناها الشرعي والاصطلاحي تعاريف اختلفت في اللفظ الا إنها متفقة في المعنى، وإذ قال القرطبي هو ما أوجبه المكلف على نفسه من العبادات مما لو لم يوجبه (لم يلزمه) وقال ابن جرير هو ما أوجبه المرء على نفسه تبريراً في طاعة الله وتقرباً اليه من صدقة أو عمل. خير وقد يكون معلقاً أو مطلقاً وقد قيل عنه هو قربه مشروعة أما في كونه قربه فلما يلازمه من القرب مثل الصوم والصلاة والحج والعتق والصدقة وغيرها. (٤)

ويكون النذر مادياً مثل الصدقة أو معنوياً مثل الصلاة والصوم وغيرهما وبذلك يكون النذر من الملزمات الشرعية التي لا يجوز تركه في أصل الشرع فيكون واجب التنفيذ.(٥)

والنذور ظاهرة اجتماعية يرتبط انتشارها بانتشار الأضرحة والمعتقدات الدينية وتختلف باختلاف البنيه والوسط الاجتماعي فقد تكون مبالغ نقديه أو قرابين تذبح في داخل المراقد والأضرحة، أو قد تكون أفرشة أو أثاثاً تقدم للضريح أو لخدام الأولياء .(٦)

ويعرف النذر بأنه الهبة والتكريس والإهداء، فاذا كان الإنسان في محنة بسبب مرض بدني أو نفسي أو كان في خطر محدق يدعو الله لكي يخلصه من هذه الأزمة ويعد الله بان يقوم بشيء للتعبير عن الشكر، وبعد تحقق الطلب يصبح واجباً عليه إيفاء النذر أو الوعد لأنه دين وفرض على الإنسان الذي نذره، إنّ نمط النذور وكيفيتها في المجتمعات الإسلامية يختلف عن الحضارات القديمة كما هو في الوقت الحاضر لكنه يشترك بكونه تعهداً من الإنسان تجاه ما يُعده مقدساً.

يمكن أن يكون النذر لوجه الله تعالى ثم يهدي ثوابه الى أحد المراقد المقدسة في حالة وجود مشكلة أو مصيبة أليمة، فاذا حلتَ أو شفي المريض يوفى بما نذره ويتناول هذا النوع من النذور

(١*). الصلاة :- هو فعل يراد به التوجه الى الله للتعبير عن المحبة والغفران وطلب شيء ما او فعل عفو، المزيد ينظر: فالح مهدي ، صلوات الإنسان من سومر الى الإسلام ، الطبعة الأولى ، دار مكتبة البصائر للنشر ، بيروت لبنان ،٢٠١٠ ، ص٨ .

(٢). سعد عمر، القرابين والنذور في العراق القديم، الطبعة الأولى، بغداد , مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ، ٢٠١١ ، ص١١٠.

(٣). غزاي أحمد أبراهيم، القسم الثاني من كتاب الأيمان والنذور من المحيط البرهاني في الفقه النعماني، رسالة ماجستير غير منشوره في العلوم الدينية والإسلامية، جامعه بغداد ، ١٩٩٩، ص١٨ .

(٤). النذر في القرآن, سمير عبد الحسن سالم الفهداوي ، مجله جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية ، ص٦١ .

(٥). السيد محمد الصدر، منهج الصالحين، الطبعة الاولى ، ايران ، ذي القعدة ، ١٤٢٥ هجره ، ص٣٤٥ .

(٦). وليده عبد سماوي حسن ، رواسب المعتقدات الغيبية والخرافية ومشكلات الإنسان المعاصر رساله ماجستير غير منشوره ، كليه الآداب، جامعه القادسية ،٢٠١١ ،ص٦٢.

أشياء عده منها قطعة قماش بيضاء أو خضراء تسمى راية، أو قد تذبح ذبيحة، ويعتقد أن الولي هو الذي حل المشكلة أو شفى المريض، واذا لم يفِ بما نذره فسوف يؤذيه بأية صورةٍ من الصور.[١]

وأن النذور (المادية) المقدمة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أو الأولياء الصالحين تنفق للمحتاجين من زواره أو على مشهده الشريف أو على ما فيه إحياء ذكراه او إعلاء شأنه .

واما حكم الإيفاء بالنذر في القرآن والسنة النبويه فقد ثبت فيهما بالإجماع ففي القرآن الكريم قال تعالى (وَلْيُوفُوا نُذُورَهُم)[٢].

وفي الحديث النبوي الشريف قال (صلى الله عليه وآله وسلم) من نذر أن يطيع الله فيطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصيه. [٣]

النذر هو تعهد ملزم يقطعه الإنسان للأسباب مختلفة، ويُعد جزءاً من الدين الرسمي والمعتقدات والتدين الشعبي و أهم ما يميزه أنه تعهد يبادر اليه الإنسان بصورة فرديةٍ وطوعية لكنه يصبح ملزماً وعليه الايفاء به عندما يتعهد بذلك وخلال هذه المده يكون الناذر تحت حماية الله من خلال دعائه وتوسله وهو يعتقد إن هذا الالتزام سيعمل على أن يحدث ما يتمناه.

ثانياً: المرقد

المرقد لغوياً مأخوذ من (رَقَدَ) وهومن باب (نصر) والمرقد بوزن المذهب، المضجع وأرقده أنامه والمرقد دواء يرقد من يشربه.[٤]

يشير الضريح لغوياً إلى الضرح التنحية والدفع وبابه قطع فهو شيء مضطرح أي مرمي في ناحية وهو يعني الشق وسط القبر وقد ضرح القبر من باب قطع أيضاً إذا حفره.[٥]

وتشير كلمة المقام من قام يقوم قياماً وأقام الشيء أي أدامه والمقامة بالضم الإقامة، وبالفتح المجلس والجماعة، والمقام بالضم كقوله حسنت مستقراً ومقاماً أي الموضع.[٦]

إنّ المرقد والضريح تشير الى القبر وهو مثوى الإنسان بعد الموت ويشير الى وجود رفات أنسان في هذه البقعة من الأرض، ويعرف المقام (shrine) في المصطلح العلمي بانه أحد المسميات التي تطلق على القبور التي ترجع إلى أصحاب الحظوة من القوم وقد جاء في صبح

(١). جرجس محمد الرملاوي، في المعتقدات الشعبية، مجله التراث الشعبي العدد الاول ، الأعظمية بغداد،١٩٩٢، ص٧٢ .

(٢). القران الكريم ، سوره الحج ،ايه ٢٩ .

(٣). غزاي أحمد أبراهيم ، مصدرسابق، ص٢١ .

(٤) . ابو بكر الرازي ، مصدر سابق ، ص٢٥٢ .

(٥). المصدر نفسه ، ص ٣٧٩.

(٦) . المصدر نفسه ، ص٥٥٧ .

الأعشى للقلقشندي يقول أصل المقام في اللغة هو موضع القيام، وقد أرجع بعضهم كلمة مقام الى أصل يوناني (mokamo) ومعناه الغير في العربية.[١]

والمقام هو مبنى أو قبر أو مكان مدفون فيه رفات مقدس وقد يعني المقام عند البعض شجرة أو جرة أو حتى كومة من الأشجار وتقدس للاعتقاد بأنها مسكن لروح وتحفظ في المقام ذي البناء المشيد أشياء مقدسة أو تقام حوله الصلوات والاحتفالات الدينية وتقرب له القرابين .[٢]

يعرف الضريح وجمعهُ أضرحة بكونها أماكن مقدسة غالباً ما تكون بؤرة لتجمع أو لممارسات التكريم ويظهر الاعتقاد في الأضرحة بعض جوانب البناء الاجتماعي المحلي والإقليمي فيسهم في تعيين حدود الجماعة المحلية أو يعمل في ظروف معينة على تحاشي تلك الفروق المحلية لصالح تحالف أكثر شمولاً حتى وإنّ كان مؤقتا أحياناً [٣].

إنّ المرقد يتمتع بميزة البناء المعماري لاحتوائه على مبانٍ ذات طابع إنساني وثقافي تكون في خدمه العامة من الزوار والأماكن المحيطة بالمرقد فضلا عن كونها بيوت الله تقام بها الشعائر وهي ذات صفة روحية واجبة التقديس ،واهم ما يميز البناء المعماري القبة والمنارة ،إضافة الى أن عمارتها جاءت بأشكال محورية ومتناظرة تنحى للرمزية وتغالي في معالجتها.[٤]

يشار الى المرقد بكلمه مزار (Shrine) وتعني مكاناً أو موضعاً فيه قبر أحد أصحاب المنزلة الروحية يقصده العامة للزيارة في مواسم معينة لطلب المساعدة والشفاعة وقد لا يكون المزار قبراً بل بناء تذكاري يشير الى عمل أو حادثة مما يمت لبعض الشخصيات الدينية بصلة.[٥]

فاكتساب القدسية بالنسبة لمرقد ليس امراً متاحاً لجميع المراقد المشيدة، وانما لأشخاص محددين كان لهم أثر عقائدي او موقف ديني، لذا نجد ان مراقدهم تحاط بهالة من القدسية والاحترام من قبل اتباعهم ومحبيهم، ولا يقتصر الأمر في ذلك على ديانة او طائفة دون أخرى، بل تشترك جميعها بالأهتمام بها بوصفها جزءاً من الثقافة الروحية والعقائدية للإنسان، ان المرقد الإسلامي المقدس هو مكان الرجوع إلى الله والتعبد على الأعتبار من سيرة السلف فهو تجسيد للذكريات التي تهدى إلى الأجيال ليعتبر بها الأنسان، فمهو يطالع الزائر تاريخ سيرة المزور العلمية والسياسية ودوره المهم في تحقيق المنفعة العامة والمتوارثة للمجتمع.[١]

[١]. علي ثويني، معجم عماره الشعوب الإسلامية ، الطبعة الاولى, بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠٥ ص٧١٦_٧١٧ .

[٢]. لوسي مير ، مصدر سابق ، ص٤١٤ .

[٣]. شارلوت سيمور، موسوعة علم الإنسان, الطبعة الثانية, ترجمة مجموعة من الأساتذة بأشراف محمد الجوهري، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠٠٩ ، ص٩٩-**100**.

[٤]. علي ثويني ، مصدر سابق، ص ٥٥٠ .

[٥]. علي ثويني، مصدر سابق ، ص ٦٨٥.

ومن خلال ما ذكر سابقا نستنتج أن المرقد هو مساحة من الأرض تختلف عن غيرها كونها تحمل دلالات رمزية وروحية لوجود جثمان مدفون لشخصية مقدسة لها كرامات يعتقد بها المؤمنون بهذه الشخصية .

خامساً: المعتقد

الإعتقاد هو الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، والجمع: عقائد، وتعني ما عقد الإنسان عليه قلبه جازماً به من الأفكار والمبادئ: فهو عقيدة سواء أكان حقاً، أم باطلاً، وتستخدم الكلمة أيضاً للإشارة الى الاعتزاز برأي معين، فالعقائد تبنى من طرق عدة: منها الإدراك الحسي، الاستنتاج، الاتصال مع الافراد ومن تلقين سلطة معينة.(٢)

"وقولنا إعتقاد الرجل: أي تدينه بعقيدة، وقولنا الإعتقاد السائد: أي الرأي السائد، وحرية الاعتقاد: أي حرية اختيار، اما المعتقد فعلا : فيرد بصيغة يعتقد، اعتقاد، فهو معتقد، والمفعول معتقد، بمعنى ظن، تصور، حسب، توهم خلافاً لما كان يعتقد، فقولنا أعتقد الرجل الاسلام، أي اعتقد الرجل بالإسلام ديناً وتدين به".(٣)

يشير (غوستاف لوبون٤*) في معرض مساجلته للفروق بين الاعتقاد والمعرفة، إلى ان الاعتقاد فعل ايماني من منشأ لا واعي يجبر معتنقيه عل قبول فكرة أو رأي أو تفسير أو نظرية ما، كما هي. ويعمم وفقاً لذلك بقوله "كل ما يقبل بفعل إيماني بحت ينبغي اعتباره اعتقاداً.(٥)

فالإعتقاد لدى لوبون نشاط ذهني لا واع قائم على الحدس تولده بعض الاسباب المستقلة عن آراء الناس المعتقدين، ولا يقوم على الملاحظة والتجربة كما تقوم المعرفة، وبهذا يشكل الإعتقاد

(١). د. صبا جبار نعمة الخفاجي، المحددات الحضارية والبيئية للمكان في عمارة العتبات الاسلامية المقدسة في العراق (العتبة الكاظمية المقدسة- حالة دراسية)، مجلة كلية الهندسة، جامعة بغداد، العدد ٢١، لسنة ٢٠١٥، ص٦-٧.

(٢). معجم المعاني الجامع، تعريف ومعنى الاعتقاد، اللغة العربية المعاصرة، معجم عربي، على الموقع الالكتروني: رابط المصدر http://www.almaany.com/ar/dict/ar ar

(٣). المصدر نفسه.

*٤. غوستاف لوبون (٧ مايو ١٨٤١- ١٣ ديسمبر ١٩٣١) طبيب ومؤرخ فرنسي، عمل في أوروبا وآسيا وشمال أفريقيا. كتب في علم الآثار وعلم الانثروبولوجيا وعني بالحضارة الشرقية. من أشهر آثاره: حضارة العرب وحضارات الهند و«باريس ١٨٨٤» و«الحضارة المصرية» و«حضارة العرب في الأندلس» و«سر تقدم الأمم» و«روح الاجتماع» الذي كان انجازه الأول. هو أحد أشهر فلاسفة الغرب وأحد الذين امتدحوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية. لم يسر غوستاف لوبون على نهج معظم مؤرخي أوروبا، حيث اعتقد بوجود فضلٍ للحضارة الإسلامية على العالم الغربي.

(٥). غوستاف لوبون، الآراء والمعتقدات: نشوؤها وتطورها، ترجمة: عادل زغير، كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر،٢٠١٢، ص١٨.

عاملاً نفسياً لا يمكن قهره تماماً مثل اللذة أو الألم. وفي السياق ذاته، يذكر فراس السواح في تعرضه للمعتقد بوصفه جزءاً من مكونات الدين الاساسية، إذ يمثل المعتقد لديه شأناً جمعياً بالضرورة، كما أن عقول الجماعة تعمل على صياغته، وتعمل الاجيال على صقله وتطويره، وعادة ما يتألف المعتقد من عدد من الافكار الواضحة والمباشرة، تعمل على رسم صورة ذهنية لعالم المقدسات، وتوضح الصلة بينه وبين عالم الانسان، وغالباً ما تصاغ تلك الافكار في شكل صلوات وتراتيل، وغيرها من الممارسات والطقوس.[١]

ربط مالينوفسكي المعتقد بحاجات الانسان الاساسية والثانوية كما هو موضح لديه في نظام الكولا الذي يرتبط بحلقة اجتماعية قائمة على معتقد الوفاء والالتزام بالدين، اما مارسيل موس فقد ربط المعتقد بالثلاثية التبادلية للحياة الاجتماعية وهي العطاء والاخذ والرد، وفي مجمل التوصيفات الأنثروبولوجية التي اسست للعديد من الدراسات الحديثة ان المعتقد يرتبط ارتباطاً مباشراً بالحاجة الانسانية، وقد استعمل مصطلح معتقد الى جانب مصطلح نسق الاعتقاد على نطاق واسع في انثروبولوجيا الدين وفي الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بشكل عام دون ان يكون هناك تعريف دقيق للجوانب التي تشكل المعتقد على مستوى النسق الاجتماعي الثقافي او الطريقة التي تتكامل فيها مجموعة من المعتقدات لكي تشكل نسقاً معيناً، ومن الواضح ان المعضلة تكمن في ارجاع المعتقد الذي هو في الاساس ظاهرة فردية ونفسية الى جماعة او مجتمع محلي او مجتمع كبير .[٢]

المبحث الثاني: ميدان الدراسة

مشهد الرسائل

الكثير من الناس على اختف مكاناتهم الاجتماعية، الذين بلجأون الى الإمام (عليه السلام) عن طريق الزيارة اي زيارة الإمام (عليه السلام) وحفيده الإمام الجواد، وليس بالضرورة عن طريق ارسال رسائل اليه، هؤلاء الناس يرون في انهم يذهبون بأنفسهم يتحدثون اليه ويناجونه ويشكون اليهم ويطلبون منهم على اعتبار ان عقيدتهم تُحتم عليم ذلك بأنهم أئمتهم ويعتقدون انهم احياء يُرزقون يسمعون كلامهم ويردون السلام حسب ما يعتقدون به والواردة في الزيارة عن الإمام المعصوم (وأشهد يا موالي أنكم تسمعون كلامي، وترون مقامي، وتعرفون مكاني، وتردون سلامي، وأنكم حجج الله البالغة، ونعمه السابغة، فاذكروني عند ربك) .

[١]. فراس السواح، دين الانسان: بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، ط ١، دمشق، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠٠٢، ص٤٨-٤٩.

[٢]. شارلوت سيمور، موسوعة علم الانسان: المفاهيم والمصطلحات الانثروبولوجية، ترجمة: محمد الجوهري وآخرون، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٩ ، ص ٤٨٧.

ولن نعدم ان نجد بعضهم يكتبون قصاصات يرمونها في القفص او في الضريح الذي يضم ضريح الإمامين (عليهم السلام) على اناتهم ووجائعهم ومطالبهم، البعض منهم يطلب منهم اشياء مثل (منعه من التدخين) لذا تراه يرمي السكائر في ضريح الإمام (عليه السلام).

البعض الآخر تراه يرمي اقراط الذهب او ما تعرف (التراچي) لطفلة صغيرة من اجل إيفاءً بنذر قد نذره اذ جاءته مولودة صحيحة خالية من الامراض فأنه يهدي هذين القرطين هدية منه الى الإمام (عليه السلام) نوع من الشكر ليفي ما اعطاه الإمام، او في بعض الاحيان يكون رمي هذه الاقراط لشفاء طفلة صغيرة قد طُلب ابويها الشفاء لهذه الطفلة من الإمامين (عليهم السلام) ايماناً منهم انه قاضي الحوائج وانه طبيب بغداد كما يسمون اهالي بغداد عندما يمرض لهم احد فأنهم مباشرة يذهبون الى طبيب بغداد يعني الإمام الكاظم (عليه السلام)، بعضهم ينذر للإمامين الجوادين ان شفا ولدي او زوجتي او ابنتي اهدي لك ذبيحة او نذر النجاح او الزواج في العادة يتم النذر ويوفي الناذر الذي يعطيه الى السادن المسؤول عن النذور.

عادة ما تكون هذه القصاصات شكاوى الى الإمامين (عليهم السلام) لمن لا يقدر اخذ حقه بيده او من خلال القانون فأنه يلجأ الى الإمامين (عليهم السلام) للشكوى، والقصاصات فيها (حوائج كثيرة) منها (طلب الزواج، الذرية، رفع المظلومية، الرزق، فك الدين، الخ ...) الكثير من حوائج الناس اضافة الى ذلك فأن الكثير من الناس قد يضع مبالغ مالية في شباك الإمامين (عليهم السلام) ذلك لوفاء النذر الذي نذره اذا انقضت حاجته.

يلجأ الناس في بعض الإحيان الى (السادن) لإعتقادهم بأنه من المقربين للإمام الإمامين (عليهم السلام) وانه من الاولياء وانه قد تُجاب الدعوات عنده او في حضرته اذ ترى الناس يجلبون اولادهم الصغار من اجل ان يقرأ عليهم السادن وذلك للتبرك على اعتبار انه من ذرية الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) او انهم ابعدهم صيتاً في تحقيق الآمال المتعلقة لدى الناس او في تحقيق الالآم وهم ينعتونه بأحسن النعوت ويصفونه احسن الاوصاف ويخلعون عليه ارفع الالقاب.

اذ ترى الاشخاص لهم سمات مختلفة فمنهم الصغير ومنهم الكبير ولهم ادوار اجتماعية متباينة فمنهم الذكر ومنهم الأنثى ومنهم الزوج ومنهم الزوجة ومنهم الفلاح ومنهم العامل واتلموظف في دوائر الدولة .

من خلال لقاء الباحث مع السدنة المسؤولين عن الضريح الشريف اذ حاولت الدخول معهم الى ضريح الإمامين (عليهم السلام) لكن لأسباب عديدة لم استطيع الدخول لكن حاولت ان انطقهم اي السدنة فيما اوجدوه من اوراق قصاصات وفئات نقدية وحُلي وقع معدنة (خواتم) واحجار وغيرها ... داخل الضريح، فأورت منها ما وجدوه من قصاصات (طلبات الناس) داخل ضريح الإمامين (عليهم السلام) فكانت: الشكاوى منها:

- شكوى بسبب الاعتداء على الأموال
- سرقات عينية مبينة، سرقات أموال
- سرقات لم يبين نوعها، هجوم على منزل او محل تجاري
- سلب عقار
- أخذ اموال يتامى
- ضياع مواشي
- تسميم مواشي
- هدم منزل

١.شكاوى بسب الأعتداء على الاشخاص فكانت :

- سب وسخرية
- شكوى من ادعاء الغير كذباً
- ضرب
- المعاملة القاسية
- شكوى ضد قاتل

٢.شكاوى في نطاق الأسرة فكانت منها:

- شكاوى بسبب العمل على التفرقة بين الذكور والإناث
- شكاوى بسبب العمل على التفرقة بين الزوجين
- شكاوى زوجية
- شكوى ضد زوجة الأبن
- تحريض على الفسق
- شكوى بسبب غواية الولد على الفساد
- شكوى بسبب عمل السحر
- إرغام على الزواج
- منع البنت من الزواج

٣.شكاوى في نطاق العمل فكان منها:

- قطع رزق عامل
- اكل حقوق الأجير
- مضايقات في العمل

شكاوى أخرة كانت منها:

- شكاوى بسبب اعتداء لم يبين نوعه

- شكوى بسبب الحرمان من معاش الضمان الاجتماعي
- شكوى بسبب قضية

٤.طلبات الانتقام

- الانتقام من دون
- طلب اصابات جسيمة كالشلل والعمى ومرض السرطان
- طلب حكم قاسي الموت والهلاك
- تخريب الدار
- الانتقام من الأولاد
- الأخذ بالتأر
- تشتيت الظالم
- قلب وإبطال السحر
- طلب التفرقة بين ابن وزوجته
- حكم عادل
- إظهار الظالم او المتعدي او السارق
- الشفاء من المرض

خاتمة الدراسة

الأنثروبولوجيا هي دراسة أصل وتطور المجتمعات والثقافات البشرية هي السلوك المكتسب للناس، بما في ذلك لغاتهم وأنظمة معتقداتهم وهياكلهم الاجتماعية ومؤسساتهم وسلعهم المادية يدرس علماء الأنثروبولوجيا خصائص المجتمعات البشرية في الماضي والحاضر من خلال مجموعة متنوعة من التقنيات. من خلال القيام بذلك، يقومون بالتحقيق ووصف كيف عاشت شعوب مختلفة من عالمنا عبر التاريخ، الكثر من الزائرين الذين يطلبون حاجاتهم من الإمامين (عليهم السلام) بأن يرمون الملابس فوق ضريح الإمامين (عليهم السلام) او المرأة ترمي حجابها او شيء من ملابسها طالبة بذلك استجابة لدعواها وهو نوع من الأستجارة مما يصبح لزاماً عليه قضاء حاجتها، فعندما ترمي المرأة حجابها فوق ضريح الإمامين (عليهم السلام) فهي دلالة على انها قد دخلت عند الإمامين (عليهم السلام) واستجارت بهما وتنتظر الاستجابة لها ورفع الضيم عنها.

إن طواف الزائرين حول قبر الإمامين (عليهم السلام) يكون بقدمين حافيين ويكون غير مكتمل أَي (نصف طواف) وليس طوافاً كاملاً حيث قُسم القبر إلى نصفين بحاجز يكون فيه نصف القبر مخصص للرجال ونصفه الآخر للنساء وفقاً "لتوجيهات المرجعية التي قررت هذا

الأمر بعد عام ٢٠٠٣ لأَسباب تحريم الاختلاط والتلامس بين الرجال والنساء إذ يعد هذا الاختلاط من مبطلات الزيارة"

كما لاحظ الباحث إن من الأسباب التي تمنع أداء هذه الممارسة (الطواف حول ضريح الإمامين (عليهم السلام) هي بسبب الأَعداد الكبيرة من الزوار كما في بعض الزيارات التي يكون فيها عدد الزائرين يصل الى الآآف خاصة في الزيارة الرجبية اي ذكرى أستشهاد الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) حيث يصعب على كبار السن والمرضى والمقعدين وبعض الصغار والنساء الطواف بين آلاف الحشود من الزائرين ليضطر أَغلبهم بأداء الزيارة دون أداء هذه الممارسة التقليدية.

مصادر الدراسة

١.م.م سمير عبد حسن سالم الفهداوي، النذر في القرآن الكريم، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الاسلامية، العدد٣٥، لسنة ٢٠١٥.

٢.ابن منظور ، لسان العرب ، المجلد السادس ، دار الجبل ، بيروت ، ١٩٨٨.

٣.د. محمد راتب النابلسي، موسوعة النابلسي، قسم موضوعات فقهية متفرقة، الدرس ٣٨، مفهوم النذر،١٩٨٩.

٤.د. خالد توفيق ، قاموس المصطلحات الدينية عربي إنكليزي ، الطبعة الاولى ، هلا للنشر والتوزيع ، الجيزة ، ٢٠٠٨.

٥.غزاي أحمد أبراهيم، القسم الثاني من كتاب الأيمان والنذور من المحيط البرهاني في الفقه النعماني، رسالة ماجستير غير منشوره في العلوم الدينية والإسلامية، جامعه بغداد ، ١٩٩٩.

٦.السيد محمد الصدر، منهج الصالحين، الطبعة الاولى ، ايران ، ذي القعدة ، ١٤٢٥ هجره.

٧.وليده عبد سماوي حسن ، رواسب المعتقدات الغيبية والخرافية ومشكلات الإنسان المعاصر رساله ماجستير غير منشوره ، كليه الآداب، جامعه القادسية ،٢٠١١.

٨.علي ثويني، معجم عماره الشعوب الإسلامية ، الطبعة الاولى, بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠٥.

٩.جرجس محمد الرملاوي، في المعتقدات الشعبية، مجله التراث الشعبي العدد الاول ، الأعظمية بغداد،١٩٩٢.

١٠. شارلوت سيمور، موسوعة علم الإنسان, الطبعة الثانية, ترجمة مجموعة من الأساتذة بأشراف محمد الجوهري، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠٠٩.

١١. فراس السواح، دين الانسان: بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، ط ١، دمشق، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠٠٢.